

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ،

لَقَدْ سَمَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبَنِيهِ مُحَمَّدٍ بِالْمُسْلِمِينَ. بِمَعْنَى الْمُسْتَسْلِمِينَ لَهُ سُبْحَانَهُ وَلِدِينِهِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لَهُمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾³ وَالْمُسْلِمُ هُوَ الْمُسْتَسْلِمُ لِمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِي سُنَّةِ رَسُولِهِ. هُوَ الَّذِي يُسَلِّمُ بِكُلِّ مَا يَأْتِيهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَعْتَرِضُ. قَالَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»⁴.

إِخْوَتِي الأَعْرَاءُ،

إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يُتَمَلَّى فِي حَيَاتِهِ بِأَلْوَانٍ مِنَ المَحَنِ وَالْمَصَائِبِ. وَيَنْبَغِي أَلَّا يَحْمِلَ ذَلِكَ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَتَمَرَّدَ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَى عَصِيَانِهِ. بَلِ الَّذِي يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ أَنْ يَفْعَلَهُ، هُوَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ قَضَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصَدْرٍ وَاسِعٍ. وَيَعْلَمُ أَنَّ عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ. فَإِنْ كَانَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى هُوَ مَقْصِدُنَا حَقًّا، فَلَا بُدَّ أَنْ نَكُونَ مِثْلَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الخُضُوعِ لَهُ سُبْحَانَهُ. أُولَئِكَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾⁵.

إِخْوَتِي الكِرَامُ،

غَدَا يَوْمَ العِيدِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَالْيَوْمَ يَوْمَ عَرَفَةَ. فَلَا تَنْسَ زِيَارَةَ مَوْتَانَا، وَالدُّعَاءَ لَهُمْ بِالْخَيْرِ. وَلِنَعْلَمَ أَوْلَادَنَا الْحَكَمَ الَّذِي يَنْطَوِي عَلَيْهَا هَذَا العِيدِ. وَلِنَفْكَرَ فِي مَعْنَى الأِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى. وَنُذَكِّرْكُمْ بِهَذِهِ المُنَاسَبَةِ، بِأَنَّ تَكْبِيرَاتِ العِيدِ تَحِبُّ مَعَ بِدَائِيَةِ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَيَسْتَمَرُّ حَتَّى نِهَآئَةِ صَلَاةِ العَصْرِ مِنْ رَابِعِ أَيَّامِ العِيدِ. فَلَا تَنْسَ تَكْبِيرَاتِ العِيدِ بَعْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ. أَسْأَلُ المَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ أَسْلَمُوا لَهُ وَاسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِهِ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



أَيُّهَا الإِخْوَةُ الكِرَامُ،

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَفْقَهُ مُعْتَقَدَاتِ قَوْمِهِ وَمَوَاقِفَهُمْ مِنَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى. فَعِبَادَةُ الأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ سَائِدَةً فِي قَوْمِهِ لَمْ يَتَّبِعْ بِهَا إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ يُدِيمُ البَحْثَ وَالتَّفَكُّرَ فِي الإِلَهِ الخَالِقِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَيَتَأَمَّلُ فِي الأُمُورِ الَّتِي تُذَكِّرُهُ بِكُونِهِ عَبْدًا لِلخَالِقِ. وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الحَالِ أَوْحَى إِلَيْهِ رَبُّ العَالَمِينَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾¹.

لَقَدْ كَانَ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَامِعًا لِلخِصَالِ الحَمِيدَةِ، إِمَامًا فِي الأِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى، شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلِذَلِكَ اصْطَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْنِ خَلْفِهِ وَهَدَاهُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. وَأَتَاهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَجَعَلَهُ فِي الأَجْرَةِ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَإِنَّ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي بَنَى الكَعْبَةَ مَعَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَرْشَدَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الحَقِّ. وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي أَصْبَحَ رَمْزًا لِعِبَادَةِ التَّضَاجِعَةِ بِالقُرَابِينِ لِلَّهِ تَعَالَى.

إِخْوَتِي الأَعْرَاءُ،

كَانَ صِدْقُ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِخْلَاصُهُ لَهُ، قَدْ بَلَغَ مَبْلَغًا، لَمْ تَقُ فِيهِ النَّارُ الَّتِي أُلْفِيَ فِيهَا؛ عَلَى إِحْرَاقِهِ، وَلَمْ يَقُ فِيهِ السِّكِّينُ الَّذِي وَضَعَهُ عَلَى رَقَبَةِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ؛ عَلَى قَطْعِهِ. وَسَيَظَلُّ هَذَا الخُضُوعُ مِنْ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَمْرِ الدَّبْحِ، وَالأِسْتِسْلَامِ مِنْ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِهَذَا الأَمْرِ، سَيَظَلُّ مِثَالِ الأِسْتِسْلَامِ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَثَمَّةُ دُرُوسٌ وَعِبْرٌ أَيْضًا فِي إِجْتِهَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإثْبَاتِ وُجُودِ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فِي مُوَاجَهَةِ المُنْكَرِينَ. إِنَّ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِمَامٌ لَنَا بِكُلِّ جَوَانِبِ حَيَاتِهِ. سَعَيْهِ الدُّوْبُ فِي سَبِيلِ التَّوْحِيدِ، وَهَجْرَتُهُ الدَّائِمَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، تَتَضَمَّنُ أَعْظَمَ نَمُودَجٍ لَنَا. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾².

⁴ صحيح مسلم، كتاب الزهد، 64
⁵ سورة البينة: 8

¹ سورة البقرة: 131
² سورة آل عمران: 67
³ سورة فصلت: 33